الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيو نشريات
[illegible] تخصصي دارالحد
٢١٤٣٨

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

في ذكرى الامام الحسين

عبد المنعم الأدفوي

وصف عبد الله بن عباس لمعاوية بن أبي سفيان أصحاب رسول الله فقال : كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصحاء .. رحلوا الى الآخرة قبل أن يصلوا اليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها ..

وهذه الحقائق تتكشف أدق ما تتكشف في حياة الحسين بن علي وسلوكه وايمانه بالدين والحق ، وجهاده في الله حق جهاده ، وهي حياة تمنحنا الكثير من المعطيات النابضة بالمثل العليا المضيئة بالشمائل الطيبة المشرقة بمعالم الخير والجمال المستهينة بالحياة في سبيل الله ..

وإذا كان الحسين درج في أكناف النبوة ، وصنع على عينيها وقبس من أنوارها ونهل من ينابيع الحكمة التي تفجرت في قلب أبيه فإنه من الحتم الحاتم ان يكون دستوره في الحياة قوله :

«فلعمري ما الامام العادل إلا العامل بكتاب الله والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله» .

والحسين بهذا الالتزام ينهج نهج الدين الخالص الذي سلكه اصحاب ابيه فلا ينحرف عن الحق قيد شعرة ولا تغره أغراض الحياة وزينتها مهما يكن شأنها .

يقول العقاد في عبقرية الامام :

وكان مع علي جمهرة القراء والحفاظ وأصحاب النسك والفقه والشريعة ، وهم خلق كثير يعدون بالألوف ، ويتفقون في الحواضر والبوادي ، ولا يزالون كأنبياء بني اسرائيل ، منذرين متوعدين ساخطين على ترف المترفين منكرين لكل خلاف ولو يسير في إقامة أحكام الدين ، لا يرضون عن الدنيا ولا عمن رضي بها من طلابها ، ولا يستمعون الى أمر إلا أن يكون في رأيهم وفقاً لحكم القرآن كما يفسرونه ، وحكم السنة كما يعتقدونها .

والحسين لا يكون موقفه من الدين أقل من موقف أصحاب أبيه ، فلا جرم ان يقول في توزيع أبي ذر الغفاري : وقد أخرجه عثمان من المدينة بعد ان أخرجه معاوية من الشام :

«يا عماه ان الله قادر ان يغير ما قد ترى والله كل يوم في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك ، وما أغناك عما منعوك واحوجهم الى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر واستعِذْ بِهِ من الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين والكرم ، وان الجشع لا يقدم رزقاً والجزع لا يؤخر اجلاً» .

ومن هذا المنطلق وحرصاً من أغوار النفس على هذه المبادىء واستجابة للمغفرة التي طبع عليها الحسين ، لم يبايع يزيد بن معاوية ، وترك المدينة الى مكة مبتعداً عن عامل يزيد ، الوليد بن عقبة بن أبي سفيان عليها الذي حاول جهد الاستطاعة وفوق الاستطاعة بما يملك من مقدرات السلطان ومقوماته ان يرغم الحسين على المبايعة ، ولكن الحسين أقام بمكة مصراً على الامتناع .

ومع ذلك فلم يخل الأمويون الطريق امام الحسين ، وتعقبوه في مكة ، وفهم هو على وجه حاسم انهم غير تاركيه إلا أن يبايع وهو يرى ذلك من المستحيل لأنه هو أحق بامارة المسلمين لما حباه الله به من صلاحيات لها وحرمان يزيد من هذه الصلاحيات في مفهوم الدين والدنيا معاً .

وفي الطريق الى مكة لم تفارق الحسين شجاعته التي ورثها عن جده وأبيه ، فقد سلك اليها من المدينة الطريق الأعظم المعروف للناس جميعاً ، وقيل له تنكب هذا الطريق واسلك غيره مما يجهله طالبوك .

فقال : لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحبّ اليه .

وفي مكة جاء الى الحسين كتاب من أعيان الكوفة ووجهائها ، منهم سليمان بن صرد ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته . يقول الكتاب : «من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك ، فإنا نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو .. أما بعد ، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتآمر عليها بغير رضي منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها ، فبعداً له كما بعدت ثمود .. انه ليس علينا امام ، لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه الى عيد ، ولو قد بلغنا انك قد أقبلت الينا اخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله» .

امام هذا الكتاب وغيره المملوءة حماسة المفعمة باللهفة على نصرة الدين في شخص الحسين بالاضافة الى ما طبع عليه من خلق لم يجد مفراً من الاذعان الى تلبية هذه الدعوة فصمم على تحقيقها .

ولكنه قبل أن يسير الى الكوفة بعث الى أهلها بابن عمه مسلم بن عقيل ليكتشف الواقع على الطبيعة ، كما يقولون وليستوثق من الأمر .

بعث بمسلم ، ومعه هذا الكتاب :

«أما بعد فقد أتتني كتبكم ، وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدومي عليكم ، وقد بعثت اليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، وأمرته أن يكتب اليّ بحالكم وأمركم ورايكم .. فإن كتب الى أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكاً ان شاء الله» .

هذا هو الصنع الذي يليق بالحسين ، ولقد وصل اليه من مسلم قبل ان يبارح مكة كتاب يؤكد ان أهل العراق على رأيهم في قدوم الحسين ، كما يقول فيه ان الرائد لا يكذب أهله .

والحسين قبل هذا وبعد هذا كما يتضح من سلوكه الذي عرف به وعرف عنه ومن مقالته التي أشرنا اليها فيما سلف الى أبي ذر لا يستطيع البقاء في مكة خوفاً من القتل ، ولا يفكر في السير الى العراق طمعاً في الملك ، فذلك أبعد ما يكون عن فطرته ، لأنه يعلم ان الأمويين سيتعقبونه في العراق وفي أي مكان يذهب اليه وإنما يغادر مكة الى الكوفة من أجل نصرة الدين لا أكثر ولا أقل .

وفي اطار هذا الهدف الذي لا يسمو عليه هدف يمكن ان نفهم رفض الحسين لنصائح محبيه وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس والفرزدق بن غالب بعدم السير الى العراق .

خلائق أهل البيت

والعبرة التي نستخلصها من المواجهة التي تمت بين الحسين والامويين ، ان أهل البيت في هذه المواجهة لم يبدأوا بعدوان أو غدر على عكس خصومهم ، ولقد يكون من أسباب هزيمة الحسين وأنصاره انهم استمسكوا بخلائق الدين ، فقد أتيحت لمسلم بن عقيل فرصة ان يقتل عبد الله بن زياد والى يزيد بن معاوية على الكوفة في دار شريك بن الأعور ولكن مسيلماً رفض ذلك قائلاً : بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الايمان قيد الفتك .. لا يفتك مؤمن وكرهت ان أقتله في بيتك .

كما ان الحسين لم يبدأ بعدوان في هذه المواجهة بالرغم من ان البدء بالقتال كان يمنحه الغلبة ولكنه رفض ذلك لأنه ملتزم بتعاليم الدين .

ومن المفارقات العجيبة في لقاء الحسين بأعوان يزيد انه كان على رأس جيش الامويين عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي ذب عن الرسول أفاعيل أخيه عتبة في موقعة أحد ، في حين وقف مع عليّ في صفين هاشم بن عتبة ، فتأمل كيف تفعل الدنيا بالنفوس ..

ومن خلائق الحسين في هذه المواجهة انه قال لأصحابه وهو على يقين من نتائج المعركة وان الموت يترصده في كل خطوة يخطوها : لقد بررتم وعاونتم والقوم لا يريدون غيري ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً ، فإذا اجنّكم الليل فتفرقوا وانجوا بأنفسكم ؛ ولكنهم رفضوا حتى استشهدوا جميعاً .

وهكذا يعطينا الحسين وأنصاره أروع المثل في الثبات على الحق والموت دونه واسترخاص الروح والدم من أجل الحق ، وهم في الحقيقة الغالبون ، وان بدا في الظاهر أنهم المغلوبون

* منبر الاسلام (القاهرة) ع٤س ٢٨ ربيع الثاني